تفسير إبن كثير

وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ ۚ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ

لما ذكر تعالى من الحيوانات ما يسار عليه في السبل الحسية ، نبه على الطرق المعنوية الدينية ، وكثيرا ما يقع في القرآن العبور من الأمور الحسية إلى الأمور المعنوية النافعة الدينية ، كما قال تعالى : (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) [البقرة : 197] وقال : (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير) [الأعراف : 26] .ولما ذكر في هذه السورة الحيوانات من الأنعام وغيرها ، التي يركبونها ويبلغون عليها حاجة في صدورهم ، وتحمل أثقالهم إلى البلاد والأماكن البعيدة والأسفار الشاقة - شرع في ذكر الطرق التي يسلكها الناس إليه ، فبين أن الحق منها ما هي موصلة إليه ، فقال : (وعلى االله قصد السبيل) كما قال : (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) [الأنعام : 153] وقال : (هذا صراط علي مستقيم) [الحجر : 41] .قال مجاهد : في [قوله] : (وعلى االله قصد السبيل) قال : طريق الحق على االله .وقال السدي : (وعلى االله قصد السبيل) قال : الإسلام .وقال العوفي عن ابن

عباس في قوله : (وعلى االله قصد السبيل) يقول : وعلى االله البيان ، أي : تبين الهدى والضلال .وكذا روى علي بن أبي طلحة ، عنه . وكذا قال قتادة ، والضحاك . وقول مجاهد هاهنا أقوى من حيث السياق ; لأنه تعالى أخبر أن ثم طرقا تسلك إليه ، فليس يصل إليه منها إلا طريق الحق ، وهي الطريق التي شرعها ورضيها وما عداها مسدودة ، والأعمال فيها مردودة ; ولهذا قال تعالى : (ومنها جائر) أي : حائد مائل زائغ عن الحق .قال ابن عباس وغيره : هي الطرق المختلفة ، والآراء والأهواء المتفرقة ، كاليهودية والنصرانية والمجوسية ، وقرأابن مسعود : " ومنكم جائر " .ثم أخبر أن ذلك كله كائن عن قدرته ومشيئته ، فقال : (ولو شاء لهداكم أجمعين) كما قال : (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا) [يونس : 99] وقال : (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) [هود : 118 ، 119] .